

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -

Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

أساليب الحوار في القرآن الكريم سورة طه - أنموذجا -

دراسة تطبيقية تحليلية

مذكرة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي

إشرافه:

جمال قالم

إعداد الطالبين:

نادية قانة

نبيلة قعير

السنة الجامعية 2013-2014

إهداء



إلى من قال فيهما الرحمان " فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما و قل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة " الإسراء الآية 23- 24.

إلى من أخذت بيدي و أنا أحمو **و ساعدتني ب الدعاء لما أصبو**أمين أمي منبع الحب و الحنان
إلى رمز الأمان و الصمود**إلى سندي في الوجود ** أبي الذي أحبه بلى حدود
إلى شقيقتي الحلوات

إلى جوهرة قلبي و مصدر سعادتي و معينتي على أعباء الحياة ومصدر بهجتي
إلى من كانت نعم الأخت الكبرى سهام و زوجها " وحيد" و بهجة دارها البر عمة "ملاك" و بلسم
فرحتها أنس

إلى وحيدة قلبي و توأم روحي مؤنستي في وحدتي كاتمة أسرارتي أختي الغالية "حياة" و زوجها
عادل

أشقائي |عزاء

إلى صاحب القلب الحنون "محمد" و البلبيل المرح صانع الحيوية "بلال"

و إلى من شاركتني حليب أمي ابنة عمي الغالية "منيرة"

إلى أول حبيبة عرفتها و عرفت معها معنى الصدق سمس الصدقة حبيبتي "أمينة قندوزي"

إلى أعز صديقة عرفتها و بإخلاصها ارتحت لها و بوفائها تعهدت بها صاحبة القلب الكبير
"رميلة"

إلى اللائي مازالت بصمتهن في قلبي " أمال.حنان.حدة.الهام. نجاه."

إلى أحلي لقائي بهم في الغرفة " حفيظة.نجاه"

إلى من شاركتني اسمي أسكنتها قلبي و قاسمتني عملي " نبيلة"

إلى نعم الأستاذ المشرف و المرشد "قالم جمال"

نادية

إهداء خاص

لؤلؤة الينبوع الصافي***شمعة البيت الطاهر

و مسكه العطر

زهرة الأقحوان***و شقائق النعمان

بلبله الحنان

وردة البستان***نور الإيمان

إليك يا "أمي"

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستغفره ونستعين به، رب العالمين أنزل على عبده الكتاب ليبصر به أولي الأبواب، وجعله أجلّ الكتب قدرا، وأكثرها علما، وأعذبها نظما، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، المبعوث إلى كافة الشعوب، وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين، أمّا بعد:

إنّ من نعم الله التي لا تنتهي على عباده، ورحمته التي وسعت السموات والأرض، أن أمدهم برسالات سماوية متتابعة منذ خلق آدم عليه السلام، إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وقد مدّ الله تعالى رسله بمعجزات، ومعجزة الرسول صلى الله عليه وسلم لا حدود لها ولعجائبها، هو القرآن نور السموات والأرض إضافة إلى كونه كتاب عقيدة وشريعة وأخلاق وعلم، ومعجزة بيانية خالدة، تفتح لكل دارس وباحث فيه آفاقا لتذوق جمال الأسلوب وروعة البناء في أكمل صورة.

وهي مغريات دفعتنا لاختيار موضوع يندرج ضمن ثنانيا هذه المعجزة، ألا وهو "أساليب الحوار في القرآن الكريم دراسة تطبيقية تحليلية" وقد تعددت أسباب اختيارنا له نذكر منها:

- أنّ الحوار شغل مساحة كبيرة من كتاب الله تعالى.
- أنه من أهم الوسائل التي اتخذها القرآن للدعوة إلى دين الحق تعالى ورسله الكرام فالقرآن دين الحوار.
- إضافة إلى محاولتنا التعمق في هذا العنصر، باعتباره أحد العناصر المهمة في القصص القرآني.

وبهذا اخترنا أنموذجا لموضوعنا من القرآن الكريم، أنموذجا يزخر بالحوار، فكانت سورة "طه" مثالا وبيانا واضحا لذلك وبعون الله نحاول أن نعطي هذا الموضوع حقه من الدراسة والإمام ولو ببعض جوانبه ونظرا لأهميته فقد تطرق إليه العديد من المهتمين بقضايا الدين والعقيدة.

أما الإشكالية التي طرحناها في بحثنا، فقد كانت تتمحور حول:
- ما الداعي للحوار في القرآن الكريم؟ وما الهدف المنشود منه في القصص
القرآني؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية حددنا فصولاً لبحثنا وقسمناه إلى فصلين:
الفصل الأول: فيه مبحثان:

- المبحث الأول: تطرقنا فيه إلى ماهية الحوار وأنواعه ودوره.
- المبحث الثاني: تناولنا فيه مفهوم الحوار القصصي، أشكاله وصوره وأساليبه
وأهدافه.

الفصل الثاني: أخذنا فيه بعض صور الحوار من سورة "طه" كنموذج وهذا بعد
التطرق إلى التعريف بها، وسبب تسميتها وسبب نزولها.
ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مصادر ومراجع في مقدمتها "المصحف الشريف"
ثم أمهات الكتب منها: قصص الأنبياء "للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير"، ومراجع
عديدة أهمها:

"القصة في القرآن الكريم" للمحمد قطب و"دراسات نصية في القصة القرآنية"
"لصاحبها سليمان الطراونة"، "من أساليب التعبير القرآني" لطالب محمد إسماعيل
الزويبي". وهي محاولة متواضعة إذا ما قورنت بدراسات من سبقونا إلى هذا
الموضوع، فاجتهدنا خطأ يقبل الصحة.

نسأل الله جلّ وعلا، أن لا يؤاخذنا إن قصرنا ويؤتتنا من العلم ما ينفعنا، وأن
يجعل هذا خالصاً لوجهه الكريم، وجزيل الشكر وخالصه لكل الذين قدموا لنا يد
العون، من بعيد أو قريب، فجزاهم الله عنا كل خير.

نعوذ بالله من زلل القلم، وخطأ الرأي، وظلال السبيل، عليه توكلنا، وبه نستعين، هو
موفقنا، وإليه ننيب.

الفصل الأول: أساليب الحوار في القرآن الكريم

المبحث الأول: ماهية الحوار في القرآن الكريم

1 - تعريف الحوار.

2 - أنواع الحوار.

3 - دور الحوار.

المبحث الثاني: الحوار في القصص القرآني.

1 - تمهيد.

2 - مفهوم الحوار القصصي.

3 - أشكال وصور الحوار القصصي.

4 - أساليب الحوار القصصي.

5 - أهداف الحوار القصصي.

- خاتمة الفصل.

المبحث الأول: ماهية الحوار في القرآن الكريم

1- تعريف الحوار:

لغة:

الحوار كما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس الحور مصدر حار حورا أي رجع. (1)
 أما في لسان العرب لابن منظور فالحوار من حؤورا الحور: الرجوع عن الشيء
 وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حورا ومحاراً ومحاوراً وحورا، رجع عنه
 وإليه: قال الجوهري: حار يحور حورا وحؤورا، رجع ويقال حار بعد ما كان،
 معناه من النقصان بعد الزيادة وقيل من فساد أمورنا بعد صلاحها والمحار: المرجع،
 والمحاور: المكان الذي يحور أي يحار فيه والباطل في حور أي في نقص ورجوع
 المحاور: المجاورة والتحاور: التجاوب، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام
 والمحاور: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة والمحوزة: من المحاوره مصدر
 كالمشورة من المشاورة والحوار: الرجوع (2) ويقال حار، يحور، حورا وحؤورا:
 رجع منه، قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ الانشقاق 14، أي يرجع إلى ربه.
 الحوار مصدر حاور وهو الحديث بين شخصين، النقاش (3).

مادة، ح، و، ر، بكل انشاقاتهم لهما معنى ترجع إليه وهو الرجوع والعودة.

كما أن الذي يتحاور مع غيره فيرجع أحدهم إلى قول الآخر، وأي كلمة أخذت
 بهذا الأصل فهي تحمل المعنى الأصلي وإن اكتسبت معاني إضافية لأن المبنى يؤدي
 إلى زيادة المعنى.

1- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الجدل، بيروت، 1491هـ، 1991م، ص: 269.

2- ابن منظور جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، مج3، دار صادر، بيروت، ص: 264.

3- محمد عبد العزيز أمل، الأداء القاموس الشامل، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1997م، ص: 218.

اصطلاحاً:

الحوار نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب⁽¹⁾.

وقد ورد الحوار في القرآن الكريم بالمعنى المشار إليه في ثلاثة مواضع:

الأول: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ الكهف 34.

الثاني: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ الكهف 37.

الثالث: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة 1.

وقيل هو مناقشة بين طرفين، أو أطراف بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد، ومن القول والرأي⁽²⁾.

الحوار هو إحدى طرق التفكير الجماعي والمواجهة والنقد، ويؤدي إلى توليد أفكار جديدة تتسم بالحركة والبعد عن الجمود ويستند إلى الديمقراطية والحب بين المتحاورين⁽³⁾.

ولقد عنى القرآن الكريم عناية بالغة بالحوار، وذلك أمر لا غرابة فيه أبداً، فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع، فمن خلال ما حكاه من صور للحوار بين الأنبياء وأمهم، أو بين أهل الجنة والنار، بعضهم بعض، أو بين أصحاب الأعراف، وما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم وما أجراه من حوار، وما حكاه لنا من

1- يماس محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، دار بن حزم، 1420هـ، 1999م، ص: 212.

2- ابن حميد صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1420هـ، 1990م، ص: 212.

3- أحمد حسن اللقاني، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج، عالم الكتب، ط2، د.ب، 1999م، ص:

صور المناجاة بين العبد وربّه عند قراءة القرآن، لتوصلنا إلى معان عديدة ومختلفة للحوار القرآني، ويمكننا أن نعرفه بأنه: كل نداء أو خطاب أو سؤال يوجهه القرآن ويوجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه المسلمين بقصد توجيههم إلى أمر ما، ولتحقيق هدف معين⁽¹⁾.

الحوار في ميدان التربية والتعليم أسلوب تربوي ومعناه تعليم الناشئ عن طريق التجاوب معه، بعد تحضير يجعل كل سؤال يبين على الجواب المأخوذ من المتعلم على نحو يجعل النتائج المتوصل إليها جديدة، فيحث نفسه ويقتنع بها، دون أن يشعر بأنها مفروضة عليه ودون أن يجد غرابة أو صعوبة في تلقينها⁽²⁾.

أما الحوار في مجال الأدب قد ارتبط في فنون الأدب أكثر ما ارتبط بالمرحلية التي تقوم أساساً على ما يشكل بيئة نموذجية له، نعني الصراع الذي يتجسد أمام النظارة: الصريح ما بين الشخصيات، والداخلي ما بين الشخصية وذاتها فإنه قد ارتبط بدرجة كبيرة بالرواية وإلى حد واضح أيضاً بالقصة القصيرة، بل حتى بالشعر أحياناً.

الأمر الذي يمنحه أهمية كبيرة في الإبداع، ولعله في أبسط تعريفاته حديث يدور بين اثنين ويتناول شتى الموضوعات، أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه أو من ينزله مقام نفسه، يفرض منه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس⁽³⁾.

فمن الطبيعي إذن أن لا يكون الحوار في هويته وماهيته لغة وحسب، مع أن وسيلته هي اللغة، إذ هو كما يمكن أن نستنتج من هذه التعريفات ومن فهمنا له في الفن الروائي وفي كل نوع أدبي، يرد فيه يتعدى كونه لغة إلى أن يكون كما يرى البعض جزءاً من السرد وأحياناً وسيلة تقنية تسهم في تطوير الحدث والسير بالخط

1- أبو عبد الله فيصل بن عبده، فن الحوار أصوله وآدابه، صفات المحاور، دار الإيمان للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص: 14.

2- عبد الرحمن النحلاوي، التربية والحوار، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000م، ص: 13.

3- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص: 100.

الروائي إلى الأمام، ولكن نعود لنؤكد أنه يبقى لغة وربما نعدم جزءا من عنصر اللغة أو الأسلوب أو على الأقل يبقى أهم ما فيه لغته.

عرفنا من جملة بحثنا أن الحوار هو كلام الشخصيات أكثر من كلام المؤلف، ومن هنا فإن حقيقة مهمة يفترض أن ينطلق منها كتاب الرواية والمسرحية، وإلى حد ما القصة القصيرة حينما يكتبون حوارات أعمالهم التي تعد علاقة بين الكلام والمتكلم به أو القائل والمقول استنادا إلى ارتباط الحوار بالشخصيات المتكلمة به.

من الأهمية الإشارة إلى أن العرب القدماء قد انتبهوا إلى هذه الحقيقة، وإن لم يكن ذلك من خلال حقول الحوار الإبداعية التي نعرفها اليوم⁽¹⁾.

2- أنواع الحوار:

يشكل الحوار أسلوبا من أساليب التقارب والتفاعل مما يعني أن له أصل ثابت في الحضارة الإسلامية، ظل يمارس فعاليتها التبليغية باتخاذ أنواع مختلفة وكل نوع يلائم طبيعة المخاطبين⁽²⁾.

- الحوار البرهاني:

هو كذلك لأنه يؤلف برهانا منطقيا عن طريق الأسئلة والأجوبة حيث يلزم المخاطبين بالأمر الذي صيغ الحوار من أجل إقناعهم به وهدايتهم إليه، وفي القرآن أمثلة كثيرة عن هذا النوع من الحوار الذي يلخص معنى الأسئلة القرآنية وأجوبتها التي تلزم المشاركين، فالنتيجة فطرية بديهية يقربها كل عقل صحيح ولعل أقوى مثال على الحوار البرهاني هو البرهان على وجود الخالق وتفرد بالألوهية، وقد ورد ذلك على شكل أسئلة في حوار قرآني، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ

1- نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1427هـ، 2007م، ص: 63.

2- سليمان عشاري، الخطاب القرآني، مقارنة وصفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 61.

هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿ الطور 35، وقوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُصِيطِرُونَ﴾ الطور 37.

فهي بيان أن الله هو الرزاق والمسؤول عن توزيع الرزق فيمده لمن يشاء ويمسكه عن يشاء. ويستمر هذا الحوار بطريقة السؤال في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ فَلَيَاتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿ الطور 38. وهي بيان أن الله تعالى هو منزل القرآن وليس للمشركين أو لشركائهم صلة بالملا الأعلى، فهي حقائق أثبتت عجز المشركين وشركائهم وفي المقابل نزاهة نبي الله تعالى.

2- الحوار الوصفي:

يقوم هذا بين طرفين أو أكثر، واصفا حالتهم النفسية أو يشعر القارئ بهذه الحالة هادفا إلى الهداية للاقتداء بالصالحين وفي المقابل الابتعاد عن كل سلوك شرير وبغيض وهو بدوره حوار على ثلاثة أشكال⁽¹⁾.

أ- حوار أهل النار مع بعضهم:

حيث يتحاورون فيما بينهم ويبدون رأيهم في البعث يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَلْنَا لَمْبَعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ آبَاؤُنَا الْأُولُونَ ﴿ الصافات 15-17.﴾

ب- الحوار بين أهل الجنة:

حيث يصف الله تعالى نعيم أهل الجنة الذين يتمتعون فيه، يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۗ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿ الصافات 41-44.﴾

ج- حوار بين أهل الجنة وأهل النار وأصحاب الأعراف:

يصف لنا فيه حال أهل الجنة والنعيم الذي يغرقون فيه وحال أهل النار وما هم فيه من تعاسة وشقاء وعذاب.

1- عبد الرحمن النحلاوي، المرجع نفسه، ص: 233.

ويبدأ الحوار بعدما اطمأن أصحاب الجنة أنهم في ديارهم واستيقظ أصحاب النار من مصيرهم فألهم أصحاب الجنة، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۗ﴾ الأعراف 44.

ليأتي بعد ذلك النداء المخصوص بأهل النار على لسان مؤذن نادى بين الجنة والنار، قال تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۗ﴾ الأعراف 44-45.

وحتى يتم الحوار ويحقق لنا هدفه يرينا الله مشهد أصحاب الأعراف يقول تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۗ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۗ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۗ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ الأعراف 46.

فيجيب أصحاب الأعراف السلام لأهل الجنة يقول تعالى: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۗ﴾ الأعراف 46. وبعد ما أذن لهم الدخول إلى الجنة فدخلوها بمغفرة من الله ورحمة منه⁽¹⁾.

3- الحوار الخطابي:

يشكل كل نداء أو سؤال يوجهه القرآن الكريم إلى عباد الله أو إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره من الناس حواراً خطابياً وذلك من أجل إخضاعهم للتلبية والإجابة عليه، أو ليلفت أنظارهم، ويوجه عقولهم وأفئدتهم إلى أمر يهمهم فينبههم إلى سلوك شائن يقوم به المنحرفون ليتجنبه المؤمنون فيذكروا نعم الله عليهم فيشكروه ويوقظ عواطفهم ووجدانهم وكذلك الحال بالنسبة للحوار الخطابي فقد ورد في القرآن الكريم على صور شتى فمنها ما هو موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام، الذي كان يتأثر بهذا الخطاب إلى درجة البكاء، يقول

1- عبد الرحمن النحلاوي، المرجع نفسه، ص: 21-23.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۚ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التحريم 1.

ونجد كذلك الحوار الموجّه إلى الناس من أجل ردهم إلى خالقهم الذي أنشأهم منه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء 1.

ونجد أيضا الحوار الخطابى الموجّه من الله تعالى إلى عباده وفيه رعاية منه تعالى لعباده المخلصين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ الأنبياء 9.

3- دور الحوار:

يشكل الحوار في هذا العصر وسيلة للتفاهم بين الدول والشعوب عن طريق من يمثلهم من أجل توضيق بقعة الخلاف وتقريب وجهات نظر متضاربة ومتباينة، غير أن هذا الحوار، الذي يجري بين الدول والشعوب، لا يستهدف الحق بعينه أو دفع مكروه عن صاحب الحق محبة فيه، وإنما يهدف إلى تحقيق المصالح وإرضاء النزوات وتقاسم المنافع⁽¹⁾.

القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية جاء ليعلم الإنسان كيف يكون الحوار عن طريق الفكر والعقيدة والعمل⁽²⁾. فحاور القرآن بذلك الإنسان ليعطيه أسس مسائل الكون والحياة ويدله على حلولها.

ويلعب الحوار دورا جد مؤثر في كل مرحلة من مراحل حياة الإنسان الأدبية والعلمية فقد عاش مع تنوع الأفكار والآراء واختلافها، فبدأ يواجهها ليتجسد له المعنى الذي تنطلق فيه أفكار في مجال العرض وفي ميادين الصراع، فيعطيه صفة الوضوح تفرض من خلالها هذا الرأي أو ذلك، ويجعل قضايا الفكر تتنامى وتتصاعد مخلفة وراءها عديد الأتباع والأنصار، مشكّلين دوائر مختلفة ذات تيارات فكرية واقتصادية واجتماعية.

1- عبد الرحمان النحلوي، المرجع نفسه، ص: 10.

2- محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، ج1، دار المنصوري للنشر، دب، دت، ص: 07.

المبحث الثاني: الحوار في القصص القرآني:

تمهيد:

إنّ للقصّة القرآنية من السمات الفنية الخالصة ما يجعلها ذات تأثير قوي في المتلقين، فمن خلال القراءة المتعمقة لنصوص هذه القصص القرآنية نجدها أوفت الغرض تماما، وهو غرض ديني بالدرجة الأولى، إضافة إلى ذلك حققت من خلال السياق والتنسيق القرآني معجزة مطالب الفن القصصي من خصائص وعناصر متميزة في الشخصيات والحدث والصراع والزمان والمكان، والتي تحققت في صورة متميزة متشابكة بحيث لا يمكن الفصل بينهما فوجود كل عنصر يتحقق بوجود العناصر الأخرى، فلا شخصية دون حدث، ولا صراع بلا حوار ولا فعل بلا تشابك في خيوط الحدث وأفعاله، فالحدث يؤثر في الشخصية، كما تؤثر الشخصية فيه، تقربا منها إلى الحسم أو هروبا إلى البعد عنه خوفا، ولم يخل موقف من مواقف الدعوة من الجدل الذي تتضمنه قصص الأنبياء من حوار هادئ⁽¹⁾.

1- مفهوم الحوار القصصي:

الحوار من السمات الفنية للقصّة القرآنية، وهو حديث يجري بين شخصياتها على شكل سؤال وجواب، تقوم هذه الشخصيات بأحداث القصّة ومفاجأتها وتجري عليها مآسيها وآلامها ويحكي الحوار ما جرى من تلك الأحداث، ويصف بعض النوازع والرغبات والدوافع والنوايا في النفوس الشخصية للقصّة، وتحرك سلوكهم⁽²⁾.

1- محمد قطب، القصّة في القرآن الكريم، مقاصد الدين وقيم الفن، دار قباء للطباعة والنشر، د ب، د ت، ص: 419.

2- عبد الرحمان النحلوي، المرجع نفسه، ص: 35.

والحوار محرك للأحداث في النص القصصي وهو روح يسري في كيانه، يتصاعد به الصراع بين شخصياته ليؤدي الهدف المقصود⁽¹⁾.

وعليه فيقدر واقعية الشخصيات يكون إحكام الحوار، ولا يأتي بثماره إلا إذا ارتبط بحوادث الجو العام للقصة والمجتمع آنذاك عادة وسلوكا، لأنه يتصور المواقف الإنسانية ويثير الشعور والفكر معا.⁽²⁾

2- أشكال وصور الحوار القصصي:

الحوار القصصي من أبرز العناصر التعبيرية، والتصويرية التي يريد الخالق من خلالها إلى إقامة الحجة والدليل في الجدل الإيماني، بين الأنبياء وأقوامهم ليكون الحوار وسيطا لبناء حكائي، يروي عبرا وأحداثا عن الأمم السابقة⁽³⁾.

ومن خلال القصص القرآني، نجد نماذج الحوار الحقيقية التي تأتي على صور متنوعة وأشكال شتى. وصور الحوار تتجلى في نوعين أساسيين هما: الحوار الثنائي الخارجي والحوار الأحادي الداخلي.

أ- الحوار الثنائي الخارجي:

وفيه يكون الحوار بين شخصين فأكثر، وهو على نوعين في القرآن هما:

- حوار شبه عقلي: يميل إلى الجدل غير القصصي، ذو مقصد ديني في إخبارنا عن نجاة الأمم السابقة مثل: نوح، عاد وثمود.

- حوار قصصي يجعل فيه القرآن المشاهد حاضرة متخصصة قادرة على ملء الفراغات التي تقع أثناء الحوار.

1- طالب إسماعيل الزويغي، من أساليب التعبير في القرآن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دب، 1996م، ص: 207.

2- محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م، ص: 43.

3- فاتح عبد السلام، الحوار القصصي وعلاقته السردية، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، 1999م، ص: 18.

والقرآن الكريم حافل بهذا النوع من الحوار، فهو على صور وأشكال عديدة منها نماذج نستعرضها كما يلي⁽¹⁾:

حوار الله عز وجل في القصص القرآني:

القرآن الكريم ساق لنا نماذج كثيرة من آداب الحوار، وأخلاقه وأهدافه في الوصول إلى حلول القضايا مع وضوح الهدف، والحوار كان بداية من السماء فقد حاور المولى عز وجل الأمة جميعاً من رسل، أنبياء، ملائكة، ناس (كفارة، مؤمنين).

حوار الله مع الملائكة الأبرار:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۗ﴾ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿البقرة 30-32﴾

حوار الله مع إبليس اللعين:

رفض إبليس السجود مع الملائكة لأدم عليه السلام بأمر من الله عز وجل مكابرة وغرورا، فخرج عن طاعة ربه، فلغنه ربه جزاء ذلك، غير أن إبليس تمادى في غيه وطلب من المولى أن ينظره إلى يوم البعث ليغوي عباده ويردهم بعد إيمانهم كفارا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۗ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ

1- سليمان الطراونة، دراسات نصية أدبية في القصة القرآنية، دار المعرفة، بيروت، 1413هـ، 1992م، ص:

الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَاتَيْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۗ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۗ لَّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ الأعراف 11-18.

حوار الله مع الأنبياء في القصص القرآني:

لقد اختار سبحانه وتعالى من بين البشر رسلا يصححون مسار العبادة، وقد كانوا مثل باقي البشر، قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إبراهيم 11.

ومن أبرز صور الحوار بين الله عز وجل وأنبيائه ذلك في قصة موسى عليه السلام أين كلفه بالذهاب إلى فرعون ليبلغه رسالته.

قال تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ طه 24-36.

ثم تحول الحوار إلى مناجاة بين الله تعالى وموسى وهارون: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۗ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِيبُهُمْ ۗ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ ۗ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ طه 43-48.

وكذلك حوار الله عز وجل مع إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ قَالَ أُولَٰئِمُتَىٰ ثُمَّ قَالَ بَلَىٰ ۗ وَلَكِنَّ لِيَاطْمَئِنَّ

قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة 260﴾.

وهي نماذج حية لحواره مع أنبيائه لتكليفهم وهدايتهم لتحقيق الهدف المرغوب فيه وهو هداية العباد لطريق النور والصواب والحق، ويحفل القصص القرآني بنماذج كثيرة منها حوار مع عيسى عليه السلام.

حوار الأنبياء في القرآن الكريم:

رسل الله الكرام: آدم، نوح، صالح، لوط، شعيب، موسى، محمد، عليهم صلوات الله أجمعين، رفعوا لواء الإيمان فكل قصصهم جاءت بحقيقة واحدة، وكل رسول بعث لتبليغ رسالة لقومه بعد انحرافهم، فكان الحوار مصورا لذلك الجدل العنيف مع أقوامهم، فبذلك كانت رحلة الحوار طويلة في الكشف عن كيفية معالجة العقيدة في مجال التاريخ البشري سواء مع أقوامهم أو فيما بينهم⁽¹⁾.

1- حوار الأنبياء مع أقوامهم:

حوار سيدنا شعيب مع قومه:

شعيب عليه السلام أحد المرسلين إلى قومه، شعب مدين بن إبراهيم عليه السلام، لمعالجة انحرافهم حيث كانوا قوما كفارا يعبدون الأيكة ويبخسون في المكيال ويطففون في الميزان، فبعث الله لهم رجلا منهم رسولا إليهم ينهاهم عن المنكر ويأمرهم بالمعروف فحوار شعيب معهم كان أكثر قوة دون الابتعاد على الجو الرسالي، حيث قال تعالى: ﴿وَالِيٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ فَاتَّقُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿الأعراف 85﴾.

1- محمد الدالي، المرجع نفسه، ص: 284.

ولما كان من قومه التهكم عليه: قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۗ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ هود 87.

لم يتوان عن محاورتهم ومناداتهم متلطفًا متوددًا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ ۖ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ ۗ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود 88.

كما أن هناك نماذج أخرى لحوار الأنبياء مع أقوامهم وردت في القصص القرآني منها حوار سيدنا هود مع قومه وحوار لوط مع قومه وحوار صالح مع قومه وحوار إبراهيم الخليل مع قومه.

حوار الأنبياء فيما بينهم:

لقد ترفق الأنبياء والرسول في حواراتهم فيما بينهم، فخطابهم تسري فيه معاني الرحمة والإخلاص وحسن الأدب وترفعهم عن الألفاظ الماسة بالكرامة الإنسانية ليكونوا خير قدوة يحتذى بها ومن هذه الحوارات بين الأنبياء نذكر:

- حوار سيدنا موسى مع أخيه هارون عليهما السلام:

وفي هذا ذكر لأمر بني إسرائيل حيث ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فمكث في الطور يناجيه، وبنوا إسرائيل يعبدون العجل باتخاذهم إياه إلهًا، وكان هارون خليفة لأخيه فنصحهم وأرشدهم ونهاهم عن عبادة العجل⁽¹⁾، ودعاهم إلى عبادة الله ربهم الذي خلق الخلق فقدره قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ۗ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ طه 90.

لكنهم ظلوا في عنادهم ورفضوا الانصياع في دعوة هارون: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ طه 91.

1- طالب إسماعيل الزويغي، المرجع نفسه، ص: 216.

وبعد دعوة موسى غضب من قومه في ضلالهم بعبادتهم للعجل فكان غضبه عن أخيه قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَوَاحِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف 150.

ولأن موسى متمسك بقيم الدين لم يتحمل رؤية قومه يعبدون العجل فحاول هارون عليه السلام استلطافه بألفاظ لينة ودعاه إلى الرفق به ورحمته، ففعل ما فعله ولم يخبر أخاه⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَيْنَ تَرْقُبِ قَوْلِي﴾ طه 94. خشي هارون أن يترك القوم بلا راع فيفرق شملهم فيلومه أخوه موسى عليه السلام.

كما نجد نماذج أخرى لحوار الأنبياء في القصص القرآني، منه حوار موسى مع فرعون وحوار موسى عليه السلام مع ابنتي شيخ مدين وحوار موسى وهارون عليهما السلام.

- حوار الأنبياء مع أبنائهم:

فيه نماذج كثيرة منها حوار نوح عليه السلام مع ابنه العاصي وحوار يعقوب عليه السلام مع ابنه يوسف عليه السلام.

حوار سيدنا نوح مع ابنه العاصي:

لما قام نوح عليه السلام بتبليغ رسالة ربه إلى قومه الذين لم يستجيبوا له، فأعلن الله تعالى نهاية رسالته بأن يصنع فلكا تكون أداة لنجاته من الغرق الذي سيأتي على الكفار وأن يحمل معه في الفلك من كل زوجين اثنين من المؤمنين دون

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، دار الغد الجديد، القاهرة، 1428هـ، 2007م، ص:

الكفار. وقد كان ولده من الكافرين فصور القرآن حواراً معه في مزيج من مشاعر الأبوة والرسالة التبليغية، فنَادَى ابْنَهُ وَهُمْ يَهُمُونَ بِرُكُوبِ الْفُلِكِ⁽¹⁾.

يقول تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ هود 42.

لكن الابن لم يلب نداء والده وكذبه ولم يصدقه ورد عليه بقوله: ﴿قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ هود 43. معتقداً أن الجبل يعصمه من الماء فرد عليه أبوه: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۗ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ هود 43. وغرق ابن نوح ومن معه من الكفار.

- حوار الإنسان في قصص القرآن:

لقد خص القرآن من خلال الحوار حديثاً عن النماذج البشرية المتنوعة لتكون كنموذج يحتذى به سواء في مجال الإيمان أو الكفر، حاشداً ملامحهم المتميزين بها ومن هذه النماذج قربان هابيل وكانت سميئة ونزلت من السماء ناراً أكلت قرباناً قبيل فغضب وقال لأقتلك حتى لا تتكح أختي وبذلك بدأ الحوار بينهما قال أحدهما للآخر (لأقتلك) بلهجة الحاقد الطاعي فرد عليه الآخر بجملة طويلة ذات ألفاظ لينية: ﴿لئن بسطت إلي يدي لأقتلك ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ۗ إني أخاف الله رب العالمين﴾ المائدة 28.

وقد عبرت عن صفاء روعي ومشاعر طاهرة، وندم قابيل على قتل هابيل لقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ المائدة 31. فخطب نفسه: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي ۗ﴾ المائدة 31.

وهذه القصة تصور الجانب الخير والشرير في الإنسان، بالإضافة إلى هذا الحوار البشري نجد حوار صاحب الجنتين وكذا حوار طالوت وجالوت وحوار الإنسان مع الحيوان كما هو في قصة سليمان في حوار مع الهدد.

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1426هـ، 2005م، ص: 74.

2- الحوار الأحادي الداخلي:

والحوار الأحادي هو حديث النفس المصرح به والأمثلة فيه كثيرة، منها حوار داخلي عادي، مثل ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء بعد تحطيم الأصنام، وطلب منهم أن يسألوها من فعل بها ذلك⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنبياء 64.

فهي مقولة حصلت داخل النفس فكيف يتصور أن إبراهيم سيعلن لقومه أنه من حطم أصنامهم وفي قصة لوط عليه السلام.

تأتي عبارات من الحوار الداخلي: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ هود 77.

وهو حوار داخلي ولا يمكن أن يقوله لضيوفه، وكذلك قوله: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۗ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ هود 78.

فقال لوط: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ هود 80، فلا يمكن أن يقول لوط ذلك مباشرة لضيوفه لخلو ذلك من التهذيب فقالها في نفسه⁽²⁾.

ومن حديث النفس ما جاء في قصة مريم في سورة مريم قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ مريم 22-23.

جاء الحوار الثنائي أو الخارجي بالقصص القرآني كثيرا لكن الحوار الداخلي أقل بكثير مع هذا فإن التأمل فيه يثري الوجدان ويقوي التأثير.

1- سليمان الطراونة، المرجع نفسه، ص: 182.

2- نفسه، ص: 183.

3- أساليب الحوار القصصي:

لقد أخذ الحوار القصصي في القرآن طابعا خصوصيا، والتنوع حسب الشخصية ومن أساليب الحوار الواردة في القرآن الكريم كما يلي:

- أسلوب المناجاة:

ومثاله في حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه: يقول الله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾⁽¹⁾ فقد أخذ الحوار هنا منحى عاطفي يعكس عقيدة ساكنة في الفرد.

- أسلوب الاستدراج:

ومثاله في سورة مريم في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾⁽²⁾ مريم 42-45.

وهذا الكلام يهز الأعطاف ويأخذ بمجامع القلوب فيه استدراج للخصم وإتيان به إلى الحق وإذعان بألطف العبارات ولعل كلمة يا أبت، خير دليل⁽¹⁾.

- أسلوب الاستفهام:

قد نجد الحوار في القرآن على شكل سؤال وجواب ومثاله حوار المصطفى صلى الله عليه وسلم مع مشركي قريش⁽²⁾.

1- سليمان عشارتي، الخطاب القرآني، مقارنة وصفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص: 189.

2- محمد حسين فضل الله، المرجع نفسه، ص: 210.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۖ أَتُنْكُمُ لِلشَّهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُلْ لَا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام .19

- أسلوب الاستطراد:

يميل الحوار القصصي إلى الاستطراد والخروج عن هويته الحوارية إلى نطاق تعبيرى إصغائي، ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ (٥٣) ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ (٥٤) ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (٥٥) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ طه 52-56.

فخطاب موسى كان يمكن أن يحد مع الآية 52 لكنه استرسل في كلامه⁽¹⁾.

- أسلوب الالتفات:

الحوار في القرآن لا يسير على منهج واحد، بل نجد فيه تلوينا يميل إلى الالتفات، من الغيبة إلى الحضور في نقله منبه للذهن، ومثال ذلك قصة مريم وعيسى، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ۚ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٧) ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ (٤٨) ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَأُبْرِئُ الْكَلْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران 47-49.

1- سليمان عشراتي، المرجع نفسه، ص: 189..

ومن خصائص الحوار القصصي أنه واقعي يجري بما يتناسب مع شخصية المتحاورين ولا يناقض تفكيرهم ومستوى إدراكهم وقد يسأل عن الحوار بين سليمان والهدهد، وما جاء على لسانه من حال سبأ وشركهم بالله، وما جاء على لسان النملة من إدراك سليمان، وخبره وتحذيرها جماعة النمل، وليس بعجيب أن يتجلى الله على بعض خلقه ممن علم أنهم لا يدركون فيفهموا ما لا يفهمه العقلاء ويحيطوا بما لم يحط العقلاء به⁽¹⁾.

4- أهداف الحوار القصصي:

يمكن أن نقسم أهداف الحوار إلى نوعين:

أ- الأهداف الفنية:

وهي المتعلقة بالقصة والتشويق إلى متابعتها، وتتجلى هذه الأهداف في القصة القرآنية الطويلة التي منها يتحقق الهدف من أحكام تماسك القصة حتى آخرها حيث يظهر الإعجاز البديعي والفني والبلاغي في الحوار القصصي⁽²⁾.

ب- الأهداف الاعتقادية والتوجيهية:

وفيهما أهداف اعتقادية تعمل على تربية العقيدة الصحيحة وجاءت في حوار نوح وهود وصالح وشعيب، مع أقوامهم، وهنا يمكن القول أن الحوار القصصي يتسم بسمات نيرة في الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده.

1- مأمون فريز، خصائص القصة الإسلامية، مركز الكتاب للنشر، د.ب، 1424هـ، 2004م، ص: 80.

2- عبد الرحمان النحلاوي، المرجع نفسه، ص: 190-191.

خاتمة الفصل:

لقد تعددت صور وأشكال الحوار في القرآن وأن تعددها في القصص القرآني يهدف إلى توضيح حقيقة الحوار القرآني.

فالحوار هو الأسلوب الذي اعتمده القرآن لتوضيح أصول الشريعة والعقيدة الإسلامية وذلك بمخاطبته للخلق سواء كان هذا الحوار متعلقا بالجانب العقائدي أم الأخلاقي أم الاجتماعي هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الحوار في القصص القرآني مدعما لما جاء به الحوار القرآني بما فيه من تبسيط للفكرة وإيضاح لها فكان هذا الحوار أسلوب كل من حمل على عاتقه مهمة حمل الرسالة الإلهية متضمنا لأساليب متنوعة حسب مقتضى الحال وذلك لتحقيق الهدف وأداء الرسالة.

الفصل الثاني: نموذج عن الحوار القصصي من خلال سورة طه

المبحث الأول: التعريف بالسورة.

1- سبب النزول.

2- سبب التسمية.

-نبذة عن قصة موسى من خلال سورة طه.

المبحث الثاني: بعض صور الحوار من سورة طه.

1- حوار الله مع موسى في الوادي المقدس.

2- حوار موسى مع فرعون حول الربوبية.

3- حوار موسى مع هارون وفتنة السامري.

1- التعريف بالسورة:

سورة "طه" من السور المكية وعدد آياتها مائة وخمس وثلاثين آية، غرضها تركيز أصول الدين، والتوحيد، النبوة، البعث، والنشور. جاءت متوسطة بين سورتي مريم والأنبياء.

في هذه السورة الكريمة تظهر شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في شد أزره وتقوية روحه حتى لا يتأثر بما يلقي إليه من الاستهزاء والتكذيب حيث عرضت السورة قصص الأنبياء تسليّة للرسول وتطمينا لقلبه الشريف فذكرت بالتفصيل قصة موسى وهارون مع فرعون ويكاد يكون معظم السورة في الحديث عنها، وبالأخص موقف المناجاة بين موسى وربّه، وموقف تكليفه بالرسالة، وموقف الجدل بين موسى وفرعون والمبارزة بينه وبين السحرة، وتتجلى في ثنايا تلك القصة رعاية الله لموسى طفلا وفتى وشابا ونبيّا وعرضت السورة قصة آدم بشكل سريع خاطف، وختمت ببعض التوجيهات الربانية للرسول صلى الله عليه وسلم في الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله حتى يأتي نصر الله⁽¹⁾.

أ- سبب التسمية:

سميت سورة "طه" بهذا الاسم تطييبا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليّة لفؤاده عما يلقاه من صدود وعناد ولهذا ابتدأت السورة بملاطفته بالنداء⁽²⁾

﴿طه﴾ ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ طه 1-2.

ب- سبب النزول:

﴿طه﴾ ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ طه 2 أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما أنزل عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى، فأنزل الله ﴿طه﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٣﴾ طه 1-2.

1- محمد علي الصابوني، صفة التفسير، دار القرآن الكريم، طه، بيروت، 1981، ص: 339.

2- نفسه، ص: 341.

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن الربيع بن أنس قال: قالوا: لقد شقي الرجل بربه، فأنزل الله ﴿ طه 1 ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿ طه 1-2.﴾

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿ سورة طه 105.﴾

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿ سورة طه 114.﴾

أخرج ابن حاتم عن السدي قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه حتى يشق عليها يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۗ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿ سورة طه 131﴾ أخرج ابن شيبه وابن مردويه عن أبي رافع قال: أضاف الرسول ضيفا فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقا إلى هلال رجب فقال: لا إلا برهن، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض فلم أخرج من عنده حتى نزلت الآية⁽¹⁾.

نبذة عن قصة موسى من خلال سورة طه:

موسى عليه السلام من كبار أولى العزم هو ابن عمران بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، أمه يوكايد بنت لاوى، ولد بعد (64) سنة من وفاة يوسف، قبل ميلاد موسى أصاب العبرانيين اضطهاد من فرعون في أرض مصر، حيث أصدر أمر بقتل كل مولود من بني إسرائيل وفي هذه الأثناء ولد موسى عليه السلام،

1- جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار المعرفة، ط2، بيروت، 1419هـ، 1998م،

خشيت أمه عليه من كيد فرعون فقذف الله في قلبها: ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ القصص 7. فساق الماء الصندوق حتى دنا من قصر فرعون، فطلبت منه امرأته أن يبقيه على قيد الحياة ففعل، وأسموه موسى "المننشل من الماء"⁽¹⁾. ولما بلغ أشده أوحى الله له أن يحمل الرسالة إلى الطاغي فرعون وأيده بمعجزات وأنجاه من فرعون وقومه، ومن الأحداث التي جرت لموسى عليه السلام لقاءه بالعبد الصالح "الخضر"، وأيضا إيذاء قارون له، فدعا عليه موسى فخسف الله به الأرض، ثم توفي عليه السلام بعد أخيه هارون بأحد عشر شهرا بعد ما بلغ 120 سنة ودفن بالأرض المقدسة⁽²⁾.

بعض صور الحوار في سورة طه:

أ- حوار موسى مع ربه في الوادي المقدس:

بعدما قضى موسى عليه السلام الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم سار بأهله قاصدا بلاد مصر، فضل الطريق وكانت ليلة شتائية وكان هناك ضباب وظلام شديد، فجعل يقدح بزند ليوري نارا، لكن دون جدوى فأنس من جانب الطور نارا، فقال لأهله امكثوا لقد وجدت نارا، فلما أتاها ناداه الله يا موسى، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إني أنا ربك فاخلع نعليك ۗ إنك بالواد المقدس طوى ﴿١٢﴾ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴿١٣﴾ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى ﴿١٤﴾ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴿١٥﴾ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ سورة طه 11-16⁽³⁾.

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ص: 234.

2- نفسه، ص: 334.

3- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص: 133.

ناداه الله يا موسى إنني ربك وقد اخترتك لرسالتي فاستمع لما يوحى إليك، إنني الله فاعبدني، إن القيامة آتية أكاد أخفيها فلا أذكرها فلا يفتنك عنها من لا يؤمن بها⁽¹⁾.

لما بين الله لموسى عليه السلام أصل الإيمان، أراد أن يبين له ويريه من آياته ما يطمئن به قلبه، فقال تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَىٰ غَمِّي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۗ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ طه 16-24. سأله عما بيده مع علمه تعالى، فأخرج الكلام بطريق الاستفهام، فقال موسى هي عصاي وذكر فيها نوعين من المنفعة:

منفعة لجنس أدمي "أتوكأ عليها" ومنفعة للبهائم ﴿أَهْسُ بِهَا عَلَىٰ غَمِّي﴾، وله فيها مقاصد أخرى مثلما ذكر فطلب الله منه أن يلقبها فلما ألقاه انقلبت إلى ثعبان عظيم فولى موسى عليه السلام هاربا خائفا ولم يعقب فقال الله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ أي ليس عليك من بأس سنعيدها إلى هيئتها الأولى فامتثل موسى لأمر الله إيمانا به وتسليما، ثم انتقل إلى المعجزة الأخرى فطلب منه أن يدخل يده إلى جيبه ويضم عليها عضده تخرج بيضاء من غير عيب ولا برص، هذا ليريه من آياته الكبرى وليطمئن قلب موسى به⁽²⁾.

بدأ موسى يتحاور مع ربه حين سأله أن يشرح صدره فيما بعثه به، لأن الأمر عظيم ومن بعث إليه كان أعظم الملوك على وجه الأرض إذ ذاك، حيث ادعى أنه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه إله غيره، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾^(٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ

1- محمد فريد وجدي، المصحف المفسر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص: 407.

2- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، دار الرسالة، د ط، القاهرة

أُزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ طه 25-35.

أي يارب كن لي عوناً فلا طاقة لي بذلك وأحل عقدة من لساني لكي يفقهوا قولي - بنوا إسرائيل- لما أصابه من اللثع حيث عرضت عليه التمرة الجمرة، فأخذ عليه السلام الجمرة فوضعها في لسانه، فاستجاب الله له وحل العقدة من لسانه ثم سأله موسى أن يعينه بأخيه هارون يكون له رداءاً ومشيراً فأثابه الله سؤاله ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي في اصطفاك لنا، وإعطائك إيانا النبوة، وبعثك لنا إلى عدوك فرعون، فلك الحمد على ذلك (1).

ثم قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ طه 36-39.

إلى حد قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ طه 42-46. هذه إجابة من الله لرسوله وتذكير له بنعمته السالفة عليه فيما كان ألهم أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملاه أن يقتلوه، فشاء قدر الله ألا يربى موسى إلا على فراش فرعون، قال أبو عمران الجوني تربي بعين الله، ولما استقر في قصر فرعون وعرضت عليه المراضع فأبأها فجاءت أخته فدلتهم على من يرضعه فذهبوا به إلى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله فاستأجروها على إرضاعه، فهي ترضع ولدها وتأخذ أجرها (2).

1- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المصدر نفسه، ص: 335.

2- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص: 138.

ثم يقول تعالى مخاطبا موسى عليه السلام اذهبا بمعجزاتي وبراهيني ولا تبطنأ ولا تضعفا اذهبا إلى من تمرد وتجهرم على الله وعصاه ولكن بلين وملاطفة لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة، فخشي موسى وهارون بطش فرعون وأن يعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك فأجابهما الله إني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى علي من أمركم شيء، فناصرته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس إلا بإذني، وأنا معكما بحفظي ونصري⁽¹⁾.

حوار موسى مع فرعون حول الربوبية:

لما ذكر الله تعالى نعمته على موسى باستجابة دعائه وإعطائه سؤله ذكر هنا ما خصه به من الاصطفاء والاجتباء وأمره بالذهاب إلى فرعون مع أخيه هارون لتبليغه دعوة الله، ثم ذكر ما دار من حوار بين موسى وفرعون وما كان من أمر السحرة وسجودهم لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۗ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۗ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾^(٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿سورة طه 47-48. أي فأتياه بهاذين الأمرين: دعوته إلى الإسلام وتخليص هذا الشعب الشريف - بني إسرائيل - من قيده وتعبيدهم له ليتحرروا ويملكوا أمرهم ويقيم فيهم موسى شرع الله ودينه، حيث جاءه موسى بمعجزات كبرى تدل على صدقه.

ثم بدأ فرعون في التحاور مع موسى، فقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾^(٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۗ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿سورة طه 39-55.

1- ابو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص: 142.

معنى هذه الآيات أن فرعون قال لموسى على وجه الإنكار: من ربكما فأجاب موسى بجواب شاف وكاف قال: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أي ربنا الذي خلق جميع المخلوقات وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به⁽¹⁾. الدال على حسن صنعه، ثم هدى كل مخلوق إلى خلقه أي كل مخلوق نجده يسعى لما خلق له من المنافع ودفع المضار عنه، ولهذا لما لم يمكن لفرعون أن يعاند هذا الدليل القاطع حاد عن المقصود فقال: "فما بال القرون الأولى" أي ما شأنهم وما خبرهم؟ وكيف وصلت بهم الأحوال وهم سبقونا إلى الإنكار والكفر والعناد، ولنا فيهم أسوة فقال موسى "علمها عند ربي" أي قد أحصى أعمالهم من خير وشر وكتبه في الكتاب المحفوظ فلا يضل عن شيء منها ولا ينسى ما علمه منها فلا معنى لسؤالك واستفهامك يا فرعون عنهم، فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ثم استطرد في هذا الدليل القاطع بذكر الكثير من نعم الله وإحسانه فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي فراشا وأنزل المطر وأنبت جميع أصناف النوابت على اختلاف أنواعها وأنزل المنّ والسلوى، فالمنّ حلوى كانت تنزل عليهم من السماء والسلوى وهو طائر يسقط عليهم فيأخذون منهما، كل قدر الحاجة إلى الغد، ولولا ذلك لهلك من عليها من أدمي وحيوان ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ أي ذوي العقول الرزينة والأفكار المستقيمة على فضل الله وإحسانه وتمام عنايته وعلى أنه الرب المعبود المالك المحمود الذي لا يستحق العبادة إلا هو⁽²⁾.

ويخبر الله تعالى أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع جميع أنواعها العيانية والأفقية والنفسية فما استقام ولا ارعوى وإنما كذب⁽³⁾.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾^(٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا

1- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المصدر نفسه، ص: 338.

2- نفسه، ص: 341.

3- محمد فريد وجدي، المصدر نفسه، ص: 421.

نُخَلِّفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَّى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَرَ النَّاسُ ضَحَّى ﴿سورة طه 56-59.

فرغم أن فرعون رأى من المعجزات الدالة على نبوة موسى من العصا واليد إلا أنه كذب وأبى وقال بل جننتا يا موسى بهذا السحر لتخرجنا من أرض مصر فلنعارضنك بسحر مثله ليظهر للناس أنك ساحر ولست برسول فعين لنا وقت اجتماع لا نخالفه نحن ولا أنت في مكان واحد ووقت معين فقال موسى: موعدنا للاجتماع يوم العيد - يوم من أيام أعيادهم، وأن يجتمع الناس في ضحى ذلك النهار، قال المفسرون: وإنما عين ذلك اليوم للمبارزة ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار بظهور معجزاته للناس ثم يقول تعالى في تمام الآيات ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ﴾ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَىٰ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ﴾ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۖ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ﴾ سورة طه 60-64.

أي باشر فرعون وانصرف لجمع السحرة ثم أتى في الموعد ومعه السحرة وأدواتهم وما جمعه من كيد ليطفىء نور الله، قال ابن عباس: كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر منهم حبال وعصى، فقال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون ويلكم لا تختلقوا على الله الكذب فيهلككم ويستأصلكم بعذاب هائل فقد خسر وهلك من كذب على الله، قدم لهم النصح والإنذار لعلمهم يتوبون إلى خالقهم⁽¹⁾.

لما سمع السحرة منه المقالة هالهم ذلك ووقعت في نفوسهم مهابته ولذلك تنازعوا في أمره أي اختلفوا في أمر موسى فقال بعضهم: ما هذا بقول ساحر وأخفوا ذلك عن الناس وأخذوا يتتاجون سرا وقالوا بعد التناظر والتشاور: ما هذان إلا ساحران يريدان الاستيلاء على أرض مصر.

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص: 199.

قال الزمخشري: والظاهر أنهم تشاوروا في السر وتجادبوا أهداب القول ثم قالوا: قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبة موسى وهارون لهما وتثبيطا للناس من إتباعهما، قال المفسرون: أرادوا بالفلاح وبما وعدهم به فرعون من الإنعامات العظيمة والهدايا الجزيلة مع التقريب والتكريم.

كما قال تعالى: ﴿أَنْتَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ الشعراء 41-42.

في هذه الأثناء بدأت المباراة بين موسى والسحرة وأعلانهم علنا إيمانهم به حيث قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ سورة طه 65-66.

طلب السحرة من موسى أن يلقي هو أولا، فأبى موسى لهذا وقال لهم أي السحرة: أنتم أولا، ليرى ماذا يصنعون من السحر، فألقوا بكل ثقة كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ الشعراء 44.

وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة لسحر أعين الناس (1).

حين ألقى كل ساحر عصاه وحبله حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها على بعض خاف موسى من هذا، حيث يقول تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (٦٨) وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ (٦٩) فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ سورة طه 67-70.

معناه أن موسى خاف على الناس أن يفتنوا ويغترون بهم قبل أن يلقي ما في يمينه فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ألقى عصاك تلقف ما صنعوا وذلك أنها

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص: 202.

صارت عصاه تنينا عظيما هائلا ذا عيون وقوائم وعنق ورأس وأضراس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم يبق منها شيء إلا تلففته وابتلعتها والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جهرة نهارا صحوه، فقامت المعجزة واتضح البرهان وبطل ما كانوا يعملون فعند ذلك وقعوا سجدا وقالوا: قوله تعالى ﴿أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿الشعراء 47-48﴾⁽¹⁾. اختلف المفسرون في عدد السحرة قال ابن عباس: أصبحوا سحرة وأمسا شهداء وكانوا اثنين وسبعين ساحرا.

قال الأوزاعي: لما خرّ السحرة سجدا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها، وبهذا يكون الله قد نصر موسى وهارون وأحق الحق وأبطل الباطل⁽²⁾.

في تمام الآيات يقول فرعون للسحرة آمنتم بموسى وصدقتموه بما جاء به قبل أن أسمح لكم بذلك وقبل أن تستأذنوني حيث يقول تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِذَافٍ وَأَصْلَابِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سورة الشعراء 49.

أراد فرعون بقوله هذا أن يلبس على الناس حتى لا يفتنهم فيؤمنوا كإيمانهم ثم توعدهم وهددهم بالقتل والتعذيب فقال: لأقطعن الأيدي والأرجل منكم مختلفات، يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس، ولأعلقنكم على جزوع النخل وأقتلكم شر قتلة، فرد عليه السحرة: لن نختارك ونفضلك على الهدى والإيمان الذي جاءنا من الله على يد موسى ولو كان في ذلك هلاكنا فاصنع ما أنت صانع⁽³⁾. تشير الآيات هنا إلى عناية الله تعالى بموسى وقومه وإنجائهم وإهلاك عدوهم وتذكيرهم بنعم الله العظمى ومنيته الكبرى على بني إسرائيل وما وصّاهم به من المحافظة على شكرها وتحذيرهم من التعرض لغضب الله بكفرها.

1- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المصدر نفسه، ص: 352.

2- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص: 209.

3- نفسه، ص: 211.

حوار موسى مع هارون وفتنة السامري:

بعد المسير ببني إسرائيل وإغراق فرعون وجنوده ونعم الله على بني إسرائيل، مضى موسى إلى الطور واستخلف على قومه أخاه هارون شوقاً إلى كلام ربه حيث قال تعالى: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ سورة طه 84.

أي عجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمجيء إليه، فأخبر الله تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل وعبادتهم العجل الذي عمله لهم السامري وكان هذا الأخير ساحراً منافقاً من قوم يعبدون البقر حيث جمع السامري الحلي ثم صنع منها عجلاً ودعاهم - أي بني إسرائيل - إلى عبادته فَعَكفُوا عَلَيْهِ وَكَانَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ وَقَعَتْ لَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِ مُوسَى. حين رجع موسى من الطور بعد ما استوفى الأربعين أخذ التوراة غضبانا شديداً الحزن على ما صنع قومه من بعده حيث قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ سورة طه 86.

أي قال لقومه هل طال عليكم الزمن حتى نسيتم العهد أم أردتم بصنيعكم هذا أن ينزل عليكم سخط الله وغضبه فقال قومه: ما أخلفنا العهد بطاقتنا وإرادتنا واختيارنا بل كنا مكرهين بأمر السامري⁽¹⁾.

قال المفسرون: كان بنو إسرائيل قد استعاروا من القبط الحلي قبل خروجهم من مصر فلما أبطأ موسى في العودة قال لهم السامري: إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الحلي فجمعوها ودفعوها إلى السامري فرمى بها في النار وصاغ لهم منها عجلاً ثم ألقى عليه نبذة من أثر فرس جبريل عليه السلام، فأخرج عجلاً جسداً بلا روح له خوار وهو صوت البقر.

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص 211.

قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ سورة طه 88-89.

قال قتادة: نسي موسى ربه عندكم، فعكفوا عليه يعبدونه" أي هذا ما أخبرهم به السامري، فبين الله سخافة عقولهم وقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ وهذا الاستفهام للتوبيخ والتقريع أي هذا العجل الذي زعموا أنه إلههم لا يرد لهم جوابا ولا يقدر أن يدفع عنهم ضرا أو يجلب لهم نفعاً، ولقد نصحهم هارون ولكن دون جدوى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ لَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَّا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۗ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَمَّ تَرْقُبُ قَوْلِ﴾ سورة طه 90-94.

أي قال لهم هارون ناصحا ومذكرا من قبل رجوع موسى إليهم، إنما ابتليتكم وأضللتكم بهذا العجل فاقتدوا بي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله وأطيعوا أمري بترك العجل فقال قومه: لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يعود إلينا موسى فننظر في الأمر، فلما رجع موسى ووجدهم عاكفين على عبادة العجل امتلأ غضبا لله وأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه قال ابن عباس: أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لأن الغيرة في الله ملكته، وقال له، أي شيء منعك حين رأيتهم كفروا بالله أن لا تتبعني في الغضب لله والإنكار عليهم من ذلك الظلال؟ أخالفتني وتركت أمري ووصيتني؟⁽¹⁾.

أجاب هارون موسى استعطافا وترفيقا: يا ابن أُمي، أي أخي وذكر له أمه ترفيقا له وإلا فهو شقيقه من أمه وأبيه: لا تأخذ بلحيتي ولا بشعر رأسي إني خفت إن زجرتهم بالقوة أن يقع بينهم قتال وتقول لي لقد شعلت الفتنة بينهم ولم تنتظر أمري

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص: 213.

فيهم فمن أجل ذلك رأيت ألا أفعل شيئاً حتى ترجع إليهم وتتدارك الأمر بنفسك، ثم يخاطب موسى السامري قائلاً: قال تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۗ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُوخَّلَفُ ۗ وَانظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ۗ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ طه 95-98(1).

ومعناه أن موسى لما انتهى من معاقبة أخيه توجه إلى ذلك السامري وسأله قائلاً: ما شأنك فيما صنعت؟ وما الذي حملك عليه؟ فقال السامري: رأيت ما لم يروه، وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة فألقى في نفسي أن أقبض من أثره قبضة فما ألقيته على شيء إلا دبت فيه الحياة، فقبضت شيئاً من أثر جبريل فطرحتها على العجل فكان له خوار وكذلك حسنت وزينت لي نفسي(2).

قال موسى للسامري: عقوبتك في الدنيا ألا تمسّ أحداً ولا يمستك أحد، وأن لك موعداً للعذاب في الآخرة لن يتخلف، وأنظر إلى هذا العجل الذي أقمت ملازماً على عبادته كيف نحرقه بالنار ثم لنطيرنه رمادا في البحر، لا يبقى منه عين ولا أثر، وفي آخر هذا الحوار يقول موسى لبني إسرائيل إنما معبودكم المستحق للعبادة هو الله الذي لا رب سواه ولا إله غيره وسع سبحانه كل شيء، فلا يخفى عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، كما أن هذا الحوار الذي دار بين موسى وهارون فيه قمة الأدب والأخلاق وكيف لا وهما من أنبياء الله الذين لنا فيهم أسوة حسنة(3).

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المصدر نفسه، ص: 215.

2- نفسه، ص 227.

3- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المصدر نفسه، ص 359.

خاتمة الفصل:

نخلص مما سبق ولدى تطبيقنا على سورة "طه" لإبراز نموذج عن الحوار القصصي فيها، ذلك في مبحثين:

الأول منه تطرقنا فيه لسبب نزول السورة وكذا سبب تسميتها، وأرفقنا ذلك بعرض موجز لقصة موسى المتضمنة في سورة "طه".

الثاني منه خصصناه لعرض بعض صور الحوار من خلال سورة "طه".

فالأول كان حوار موسى عليه السلام مع ربه بالوادي المقدس، الذي دار حول اختيار المولى تبارك وتعالى لموسى وإرساله إلى فرعون، الذي تجبر في الأرض وطغى فيها، للعدول عن هذا الفعل ودعوته لتوحيد الله وتخليص بني إسرائيل من مكره.

أما الحوار الثاني فكان بين موسى وفرعون، حيث دعاه موسى لتوحيد الله فأعرض عن ذلك واتهمه بالسحر وتحداه بإحضار السحرة لإبطال معجزاته لكن نصر الله فوق ذلك.

الحوار الثالث كان مع موسى وأخيه هارون ومداره ذهاب موسى لمناجاة ربه وتركه أخاه هارون خليفة على قومه، لكنّ القوم فتنوا بعبادة العجل الذي صنعه لهم السامري، ولدى عودة موسى لام أخاه هارون لسكوته عن هذا الأمر فبرر له ذلك حيث خشي أن تحدث تفرقة في القوم.

خاتمة

لقد تناولنا بعون الله وفضله موضوع بحثنا "أساليب الحوار في القرآن الكريم" من خلاله توصلنا إلى ما يلي:

- القرآن معجزة الله تعالى.
- الحوار القرآني يمثل نموذجا للحوار الغني من خلال ما استعرضناه فيما سبق من أساليب الحوار، فهو يخاطب حاسة الوجدان بلغة الجمال.
- الحوار لغة القرآن الكريم، خاتم الكتب السماوية، جاء ليعلم الإنسان كيف يكون الحوار طريقا للفكر والعمل.
- خاطب الله تعالى في كتابه كل الأصناف البشرية، سواء كانت مؤمنة أم كافرة، قوية أم ضعيفة.
- ورد الحوار في القرآن الكريم بصور وأساليب شتى في القصص القرآني.
- احتواء سورة طه على جملة من الحوارات والعبر والعظات التي يمكن لكل مسلم الاستفادة منها.
- يتميز الحوار بحضور عدة شخصيات مؤدية له ومن مستويات مختلفة، فتعددت بذلك المشاهد وتضاعفت الأحداث.
- من خلال الحوار نتعرف على طبيعة الشخصية باعتباره عنصرا فنيا، يصور لنا الشخصية تصويرا داخليا، فننتصل إلى بنائها النفسي والذهني، وكذلك إحياء المشاهد والقدرة على التأثير.
- اشتمل الحوار في سورة طه على عدة أساليب فنية بلاغية، تنوعت حسب مقتضى الحال والمقام.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون ثمرة طيبة ثقيلة في ميزان الحسنات.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

القرآن الكريم.

1. ابن منظور جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، مج3، دار صادر، بيروت، د.ت.
2. أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، دار الغد الجديد، القاهرة، 1428هـ، 2007م.
3. أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1426هـ، 2005م.
4. جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1419هـ، 1998م.
5. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، دار الرسالة، دط، القاهرة، 1420هـ، 2000م.
6. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، ط4، بيروت، 1981.
7. محمد فريد وجدي، المصحف المفسر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

2- المراجع:

1. ابن حميد صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1420هـ، 1990م.
2. أبو عبد الله فيصل بن عبده، فن الحوار أصوله وآدابه، صفات المحاور، دار الإيمان للطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ت.
3. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الجدل، بيروت، 1491هـ، 1991م.
4. أحمد حسن اللقاني، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج، عالم الكتب، ط2، د.ب، 1999م.
5. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.

6. سليمان الطراونة، دراسات نصية أدبية في القصة القرآنية، دار المعرفة، بيروت، 1413هـ، 1992م.
7. سليمان عشراطي، الخطاب القرآني، مقارنة وصفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
8. طالب إسماعيل الزويغي، من أساليب التعبير في القرآن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ب، 1996م.
9. عبد الرحمان النحلاوي، التربية والحوار، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000م.
10. فاتح عبد السلام، الحوار القصصي وعلاقته السردية، دار النشر، بيروت، 1999م.
11. مأمون فريز، خصائص القصة الإسلامية، مركز الكتاب للنشر، د.ب، 1424هـ، 2004م.
12. محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م.
13. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، ج1، دار المنصوري للنشر، د.ب، د.ت.
14. محمد عبد العزيز أمل، الأداء القاموس الشامل، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1997م.
15. محمد قطب، القصة في القرآن الكريم، مقاصد الدين وقيم الفن، دار قباء للطباعة والنشر، د.ب، د.ت.
16. نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1427هـ، 2007م.
17. يماس محمد راشد، فنون الحوار والإقناع، دار ابن حزم، د.ب، 1420هـ، 1999م.

الفهرس

الفهرس

مقدمة أ-ب

الفصل الأول: أساليب الحوار في القرآن الكريم

المبحث الأول: ماهية الحوار في القرآن الكريم 02

1- تعريف الحوار. 02

2- أنواع الحوار. 05

3- دور الحوار. 08

المبحث الثاني: الحوار في القصص القرآني. 09

1- تمهيد. 09

2- مفهوم الحوار القصصي. 09

3- أشكال وصور الحوار القصصي. 10

4- أساليب الحوار القصصي. 18

5- أهداف الحوار القصصي. 20

- خاتمة الفصل. 21

الفصل الثاني: نموذج عن الحوار القصصي من خلال صورة طه

المبحث الأول: التعريف بالسورة. 23

1- سبب التسمية. 23

2- سبب النزول. 23

3- نبذة عن قصة موسى من خلال سورة طه. 24

المبحث الثاني: بعض صور الحوار من سورة طه. 25

1- حوار موسى مع ربه في الواد المقدس. 25

2- حوار موسى مع فرعون حول الربوبية. 28

3- حوار موسى مع هارون وفتنة السامري. 33

36	خاتمة الفصل
38	خاتمة
40	قائمة المصادر و المراجع
43	الفهرس